

الأسرة والعولة

أهمية الشريعة الإسلامية لحماية الأسرة

رؤية مسلم يابانى

أمين توكوكاسو
رئيس جمعية مسلمى اليابان
طوكيو - اليابان

لا يخلو أى بلد فى الوقت الحاضر من المشاكل الاجتماعية، واليابان أيضا مثله مثل بقية دول العالم الغربى تواجه مشكلة خطيرة، تتمثل فى انهيار النظام الأسرى، وتسعى الحكومة اليابانية بجد لحل هذه المشكلة. والإسلام يرشدنا إلى أن الأسرة هى اللبنة الأساسية للمجتمع، ومن هنا فالأسرة مكانة مهمة، كما يرشدنا الإسلام إلى كيفية الحياة فى سعادة وهناء، ولهذا لم تتفاهم هذه المشكلة فى البلدان الإسلامية بالشكل الذى تفاهمت فيه فى البلاد الأخرى، ويرجع السبب إلى وجود الشريعة الإسلامية التى تصون الأسرة، إلا أن هذه المشكلة ستطول بالضرورة البلدان الإسلامية مستقبلا وذلك بسبب موجة العولمة التى تكتسح العالم.

فى اليابان نواجه اليوم مشكلة اجتماعية بسبب انخفاض معدل المواليد، وتعد هذه إحدى المشاكل الرئيسية التى تؤدى إلى انهيار الأسرة فى اليابان، نحن قلقون لأن عدد سكان اليابان يتناقص بشدة فى المستقبل، وإذا بقيت هذه المشكلة على حالها فإن مشاكل اجتماعية عدة ستحدث بالضرورة، وهكذا تخطط الحكومة اليابانية الآن لاتخاذ إجراءات لمواجهة هذه المشكلة باعتبارها من أخطر القضايا التى يواجهها المجتمع اليوم.

فى عام ٢٠٠٩م وضعت وزارة الرعاية الاجتماعية والعمل خطة تتضمن إجراءات تحول دون انخفاض معدل المواليد وتضمنت الخطة النقاط التالية:

– انخفاض معدل المواليد

فى عام ٢٠٠٧م وصل عدد الولادات إلى ١١٨ر٠٨٩ر١ بنسبة ١٣٤ (كان أكثر انخفاض نسبة مواليد فى طوكيو إذ وصل إلى ١٠٥) وبمقارنة عدد الولادات

وعدد الشباب (من صفر إلى ١٤ سنة) في اليابان فإن هذا يوضح وجود تدنى في النسبة بعد الحرب العالمية الثانية، وصار العدد أقل من عدد كبار السن (أعمارهم أكثر من ٦٥ سنة) وطبقا للإحصاء السكاني في أول أكتوبر من عام ٢٠٠٨م فإن عدد الشباب وصل إلى ١٧٦٠٠٠ر١٧ ١٣.٥% (يمثل الشباب ١٣.٥% من النسبة الكلية للسكان) ووصل عدد كبار السن ٢٨٢١٦٠٠٠ر٢٨ (بنسبة ٢٢.١% للتعداد الكلى للسكان) وهذا يوضح انخفاض نسبة المواليد وارتفاع نسبة المسنين (العجائز). وطبقا لتقرير الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٥م كان معدل الشباب في العالم هو ٢٣.٣% بينما معدل الشباب في اليابان ١٣.٣% وهى نسبة متدنية جدا. وفى عام ٢٠٠٨م وصل عدد المواليد إلى ١٩٢٠٠٠ر١٩ بينما وصل عدد الوفيات إلى ١٤٣٠٠٠ر١٤ وكانت الزيادة الطبيعية بالناقص إذ وصل إلى ٥١٠٠٠ر٥١.

— الميل إلى عدم الزواج أو تأخيره

فطبقا للتعداد الوطنى الذى أجرى عام ٢٠٠٥م وصل عدد المتزوجين الذكور نسبة ٧١% (٢٥—٢٩ سنة) و ٤٧% (٣٠—٣٤ سنة) و ٣٠% (٣٥—٣٩ سنة) ووصل عدد غير المتزوجات من النساء إلى ٥٩% (٢٥—٢٩ سنة) ٣٢% (٣٠—٣٤ سنة) و ١٨% (٣٥—٣٩ سنة)

فى عام ١٩٧٥م كان عدد المتزوجين من الذكور ٤٨% (٢٥—٢٩) و ١٤% (٣٠—٣٤ سنة)، و ٦% (٣٥—٣٩ سنة) ووصل عدد غير المتزوجات للإناث ٢٠% (٢٥—٢٩ سنة) و ١٤% (٣٠—٣٤ سنة) و ٥% (٣٥—٣٩ سنة)، ووصلت نسبة غير المتزوجين بشكل عام إلى ٢١% للذكور و ٢٣% للإناث فى عام ١٩٤٥م ونسبة غير المتزوجات بشكل عام إلى ١٥% للذكور و ٢٥% للإناث فى عام ١٩٧٥م.

— التوقعات السكانية المستقبلية

يبلغ معدل المواليد ٢٦% بينما يصل عدد السكان الكلى الذى وصل إلى ١٢٧٦٩٠٠٠ر١٢ فى عام ٢٠٠٨م، إلى ٨٩٩٣٠٠٠ر٨٩ فى عام ٢٠٥٥م وعدد الشباب هو ١٦٧٦٠٠٠ر١٦ والنسبة إلى عدد السكان الأصلى هي ١٣% سنة ٢٠٠٩م بينما عدد الشباب هو ٧٥٢٠٠٠ر٧ والنسبة إلى عدد السكان الكلى هو ٨% سنة ٢٠٥٥م وعدد السكان المنتجون (١٥—٦٤) هو ٨١٦٤٠٠٠ر٨١ والنسبة لعدد السكان

هى ٦١ر٤% سنة ٢٠٠٩م وعدد كبار السن (ما فوق ٦٥ سنة) هو ٢٨ر٩٩٠ر٠٠٠م والنسبة إلى عدد السكان الكلي ٢٢ر٨% فى سنة ٢٠٠٩م وعدد كبار السن (ما فوق ٦٥ سنة) ٣٦ر٤٦٠ر٠٠٠ والنسبة إلى عدد السكان الكلي هو ٤٠ر٤٠% فى سنة ٢٠٥٥م

— تأثير تناقص عدد السكان

نتيجة انخفاض عدد السكان المنتجين، ونتيجة لانخفاض العمالة من الشباب نظرا لانخفاض نسبة المواليد وزيادة عدد المتقاعدين من كبار السن، فإن عدد العمال سينخفض مع الاتجاه إلى الشيخوخة، وسوف يتأثر النمو الاقتصادى فى اليابان تأثرا سلبيا.

سبب انخفاض معدل المواليد طبقا لتقرير مكتب مجلس الوزراء

اليابانى فى نوفمبر ٢٠٠٩م:

طبقا للتقرير يرجع السبب إلى ما يلي:

التأخير فى اتخاذ البيئة الضرورية للتعامل مع كل من العمل ورعاية الأطفال، والتعليم العالى فقد زادت العمالة النسائية من الثمانينيات والتسعينيات، وارتفعت نسبة الشابات العاملات، بينما لم تتخذ الإجراءات الضرورية اللازمة للعمل ورعاية الطفل ولم تكن بكافية مما أدى إلى تأخير الزواج وتأخر الإنجاب مما أثر على معدل المواليد، كما أن التعليم العالى كان له أثره على تأخير زواج الذكور والإناث على حد سواء. حين تنجب المرأة العاملة طفلا لأول مرة فإن نسبة ٦٧% منهم يتركون العمل بعد نصف سنة من الولادة، وبالنسبة للمرأة العاملة يصبح من الصعوبة بمكان التوفيق بين الإنجاب ورعاية الطفل وأداء واجبات العمل بشكل جيد.

— تغير القيم فيما يتعلق بالزواج وإنجاب الأطفال:

بالنسبة للنساء ٥٤ر١% منهم يخططن للزواج حين يصلن إلى سن معقول. كان ذلك فى سنة ١٩٨٧م لكن ٤٣ر٦% منهم يخططن للزواج حين يصلن إلى سن معقول فى سنة ٢٠٠٢م و٤٤ر٥% منهم لم يخططن للزواج حتى يجدن شريكا نموذجيا فى سنة ١٩٨٧م و٥٥ر٢% منهم لم يخططن للزواج حتى يجدن شريكا نموذجيا فى سنة ٢٠٠٢م، هذا يعنى أن الزواج ليس مسألة حتمية بالنسبة لهن ، لكنه شيئا اختياريا، فقد تغير مفهومهن وتقييمهن للزواج بتغيير مفهوم الزواج نفسه الذى لم يعد له قيمة اجتماعية فى أنظارهن فيبدو أنهن يرغبن فى الحرية والحياة المريحة، وأنهم سيخسرون أهمية وقيمة الأسرة والتضحية بحياتهم من أجل جيل جديد.

— تزايد الشعور بالعبء الثقيل لتربية الأطفال ورعايتهم:

يرى كثير من الناس أن السبب في تدنى معدل وجود الأطفال عن المعدل العادى هو شعور الناس بأن نفقات تربية الأطفال وتعليمهم تمثل عبئا ثقيلا جدا عليهم، وعلى سبيل المثال نفقات التعليم من الحضانة إلى الجامعة بما في ذلك نفقات المعيشة الخاصة بالحياة الجامعية تتراوح من بين ٧١٤ر٠٠٠ر٠٠٠ (ما يعادل ١٥٥ر٥٥٥ دولارا أمريكيا) و ٧٢٠ر٠٠٠ر٠٠٠ (ما يعادل ٢٢٢ر٢٢٢ دولارا أمريكيا) وهذا يعتمد على التعليم في المدارس الحكومية أو المدارس الخاصة. إن عبء تربية الأطفال يرجع إلى تقاسم الوقت بين الزوج والزوجة بشأن العمل والبيت، ففي هذه الأيام يعطى الزوج الأولوية للعمل على البيت، وبالتالي لا يكون لديه الوقت الكافى لرعاية الأطفال والاهتمام بشئون البيت، بينما المرأة العاملة تعاني من عبء ثقيل فى القيام بذلك، فهناك أولويات تفرض نفسها نتيجة لذلك، والنتيجة أن الآباء والأمهات لا يقومون برعاية أبنائهم ويتركونهم يفعلون ما يحلو لهم.

طبقا لتقرير بحثى أجراه المعهد الوطنى للضمان الاجتماعى ومشكلة السكان فى اليابان سنة ٢٠٠٢ م من أجل الآباء والأمهات ممن ليس لديهم الأعداد المثالية من الأطفال. وقد ورد فى التقرير البحثى وبحسب الاستطلاع فإن الأسباب ترجع إلى:

- كثرة نفقات تربية الأطفال وتعليمهم (٦٢٢ %).
- القلق من الحمل فى سنوات العمر المتأخرة (٣٣٢ %).
- عدم القدرة نفسيا وجسديا على تحمل تربية الأطفال (٢١٨ %).
- البيئة الاجتماعية غير مناسبة لتنشئة الأطفال (٢٠٤ %).
- أسباب صحية (١٩٧ %).

زيادة القلق الاقتصادى منذ عام ١٩٩٠ م.

تعانى اليابان من ركود اقتصادى ومع استمرار هذا الوضع تنقلص فرص العمل ويتزايد عدد العاطلين، وعدد من لا يجدوا وظائف ثابتة.

وقد أثر هذا القلق الاقتصادى على زواج الشباب من جهة وعلى إنجاب الأطفال من جهة أخرى ففي عام ٢٠٠٣ كان هناك ٢٠٠ر١٧٠ر٠٠٠ ممن يعملون بالساعات دون وظائف ثابتة و ١٠% من العمال وتتراوح أعمارهم ما بين ١٥ عاما و ٣٤ عاما، وهناك بالضبط ٢٥٠ر٠٠٠ ممن ليس لديهم أى عمل على الإطلاق، وهم ليسوا بطلاب وليسو ممن يتدربون على أى عمل. فى أكتوبر ٢٠٠٩م قامت شركة مركز البحوث اليابانية بعمل بحث استطلاعى على نحو ١٠ر٥٤ر٠٠٠ شخصا (ما

بين ٢٠ - ٤٩ سنة) وكانت نتيجة الاستطلاع كما يلي:
القلق من وجود طفل وسبب عدم وجود أطفال للأسرة بسبب أولا: العبء الاقتصادى (٧٦٤%) وثانيا: تضارب واجبات العمل مع واجبات الحياة والطفل (٤٣٩%) وثالثا: الولادة فى سن متأخرة (٤٢٧٥%) ويلاحظ هنا أن العبء الاقتصادى هو ما يثير القلق أكثر.

السياسية المهمة لمعالجة تدنى نسبة المواليد
الدعم المالى لتربية الطفل (٥٦٢%) و تنمية خدمات رعاية الطفل
(٣٩٨%) و الاستقرار الوظيفى (٢٩٧%)
الدعم المالى المطلوب : الإنفاق على التعليم فى المدارس (٦٩.٢%)
و تحمل نفقات الحضانه ورياض الأطفال (٦٧%) وتحمل نفقات الخدمات الطبية (٥٢١%)
من أجل إيجاد حل مشكلة تربية الطفل تؤكد الحكومة اليابانية على مثل هذه النتائج، وتخطط
للدعم المالى من أجل تحقيق الاستقرار فى العمل وفى البيت من أجل تربية الأطفال، وذلك عن
طريق منح مكافأة لكل طفل، ومن إبريل القادم (٢٠١٠م) ستقوم الحكومة اليابانية بمنح ٢٦ ألف ين
يابانى (نحو ٢٨٨ دولارا) لكل ولى أمر طفل يبلغ أقل من ١٥ سنة فى آخر شهر مارس القادم، إلا
أن الحكومة ستدفع ١٣ ألف ين (نحو ١٤٤ دولارا) لكل طفل عن السنة المالية التى تبدأ فى أول
أبريل ٢٠١٠م وتنتهى فى ٣١ مارس ٢٠١١م.
واعتقد أن هذا الدعم المالى مهم، إلا أن تغير القيم الاجتماعية للشباب فيما يتعلق
بالزواج وتربية الأطفال ورعايتهم والزواج المتأخر والعزوف عن الزواج هو ما يجدر
الاهتمام به وإعطائه الأولوية القصوى.

فى اليابان ومنذ زمن بعيد قالوا الطفل كنز وكانوا ينجبون كثيرا من الأطفال على
الرغم من فقرهم، وعلى سبيل المثال أنا شخصا ولدت فى عام ١٩٤٣م، ولى خمسة
أشقاء وأخت واحدة، وكان هذا العدد هو العدد الشائع بين الأسر اليابانية فى ذلك الوقت،
رغم أن اليابان آنذاك كانت دولة فقيرة، أما اليوم فيلاحظ أن معدل عدد الأطفال منخفض
جدا (١٣٤ فى سنة ٢٠٠٧م) رغم أن اليابانيين يعيشون اليوم حياة ميسورة بل غنية
مقارنة بالسنوات الماضية.

يقال إن الشباب هذه الأيام يفضل الحياة الحرة السهلة المريحة عن حياة الزواج
والارتباط وتحمل المسؤوليات، كما أنهم يرون أن إنجاب الأطفال لم يعد بالأمر الضرورى

فى الحياة الزوجية، مثل هذه الأفكار انتشرت بين شبابا هذه الأيام.

إن الإسلام يعلم الناس الحفاظ على الحياة واستمراريتها، والله يرفع عباده ويحفظهم، فالإنسان مطالب بالإنجاب ورعاية أطفالهم وتربيتهم من أجل استمرار الوجود البشرى ومن أجل تعمير الأرض طبقا لما أرشدنا إليه القرآن الكريم، وإذا ما فهم الرجال والنساء الهدف السامى من خلق الله للإنسان، والسنة التى سنّها وهى الزواج، وإذا ما فهم اليابانيون هذا فإنهم بلا شك سيعيدون التفكير فى مفاهيمهم الخاطئة عن الحياة وتشكيل الأسرة، ومن ثم يسعون إلى إنجاب الأطفال زينة الحياة الدنيا، فالمال وحده لا يكفى المال والبنون زينة الحياة الدنيا، ويمكنهم بذلك أن يعيشوا حياة سعيدة مع أطفالهم، الذين يكبرون فيردون الجميل ويقومون برعاية آبائهم وأمهاتهم.

لا شك أن الإسلام يرشدنا من خلال القرآن الكريم ومن خلال السنة النبوية المطهرة إلى أهمية الزواج وتكوين الأسرة التى هى اللبنة الأولى فى المجتمع بل هى أساس المجتمع فيحث على الزواج إذ يقول تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ (النور: ٣٢).

وفى الحديث الشريف عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين، وفى الحديث أيضا عن أبى سعيد و ابن عباس، قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ولد له ولد فليحسن اسمه و أدبه، فإذا بلغ فليزوجّه، فإن بلغ و لم يزوجه فأصاب أثما، فإنما أثمه على أبيه] (١).

والإسلام يحث الشباب على الزواج: عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: [يا معشر الشباب ! من استطاع منكم الباءة فليتزوج] إلخ (٢).

وأيضا جاء فى الحديث عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنه فى الأرض و فساد عريض] (٣).

ويحث الإسلام على إنجاب الأطفال: عن معقل ابن يسار: قال رسول الله ﷺ: [تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثركم بكم الأمم يوم القيامة] (٤).

وينظم الإسلام مسئوليات الزوجين جاء فى الحديث:

عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، قال: [قلت: يا رسول الله ما حق زوجة أحدهما عليه ؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت ، و تكسوها إذا اكتسبت: و لا تضرب الوجه، و لا تقبح، و لا تهجر إلا فى البيت] (٥).

وبين الإسلام حقوق الأطفال منذ الإنجاب، يقول تعالى في القرآن الكريم:
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. (البقرة: ٢٣٣).

ويوضح القرآن الكريم واجبات الزوج تجاه زوجته: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾. (النساء: ٣٤).

وفي الحديث: عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا انفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة] ^(٦).

وعن حكيم بن معاوية، عن أبيه، قال: [قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسبت: ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت] ^(٧).
والإسلام يدعونا إلى رعاية الآباء والأمهات في الكبر: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْوَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

وفي الحديث: عن أبي هريرة: [قال رجل: يا رسول الله: من أحق بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك] ^(٨).
ومن أجل تكوين مجتمع يقوم على التراحم حث الإسلام على صلة الرحم عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يدخل الجنة قاطع] ^(٩).

عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: [تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مشراة في المال، منساة في أثر] ^(١٠).

وهكذا يمكن أن تكون التعاليم الإسلامية الرامية لتكوين الأسرة ورعايتها نبراسا ونهجاً يتبع في الدول التي تعاني من مشكلة التفكك الأسري، وتغير مفاهيم الحياة الفاضلة وتدنى عدد المواليد وما إلى ذلك من أمور تؤدي في النهاية إلى مفسد كثيرة تنتشر في المجتمعات وتؤدي بالبشرية إلى الهلاك والدمار.

وبالله التوفيق

الهوامش:

(١) رواه البيهقي.

- (٢) رواه مسلم.
- (٣) رواه الترمذی.
- (٤) رواه أبو داود والنسائی.
- (٥) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.
- (٦) متفق عليه.
- (٧) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.
- (٨) متفق عليه.
- (٩) متفق عليه.
- (١٠) رواه الترمذی.